قصة قصيرة

الطرف الأصيل

بقلم: رأفت الشرقاوي
مصر

(١)

ألم يأن لي أن أعقد عزمي على رأي حاسم في ذلك الأمر؟!

ماذا لو أني أرحت طرفا دون الآخر؟ لكنه أمر صعب للغاية!!

آه! نعم، ربما أمكث طويلا في تلك المعاناة!. لا. بل سأزيح عن نفسي هواجسها، وأصفيها من اضطراباتها المجحفة .. صوت من داخلي يناديني .. يهزني، يزلزل نبضات قلبي، يطرح في أعماق نفسي يقينا يقول : أنت على حق .. رأيك صائب .. لا تستجب لرؤى المجتمع العقيمة، فما هي إلا أفكار هدامة ما أنزل الله بها من سلطان .

قلت لنفسي: سأجمع أمري، ولأحمل همي بعيدا، وليكن ما يكون، حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا .

رحت أستشير الناس ... القريب والبعيد ... الصديق الحبيب، والزميل الشامت. استخرت الله مرارا فقذف في نفسي أن الفرج آت على شفا زمن قصير . فلتلتزم الصبر الذي ألفته ورافقك سنين .

قال لي رجل مجرب : أبعد الطرفين يستريحا، ثم لا ندم من بعد .. قال لي صديق مخلص غير مجرب : لا تتخل عن الطرف الثابت الأصيل، فهو حتما واقيك من النيران وسبيلك إلى الجنان، ورافعك في الدارين .

قلت : وماذا عن الطرف الآخر الذي وجدته في مسيرة الدرب بعد بحث دؤوب وعناء طويل، فألفيته مثل ما رجوت، وعلى شاكلة ما أردت، وفيه جملة مما ابتغيت . وها هي ذي سنواتي الاثنتين والثلاثين لا تطيق صبرا على الانفكاك عنه .

قال : وماذا تفعل في المجتمع المحيط؟ وفي أفكاره المبثوثة في كل الأذهان كالإعلام البغيض؟ ها قد عششت في رأس ذلكم الطرف، وشجعه أصحابه المحيطون، فصار يبتغي انفصالا تاما عن الطرف الأصيل النبيل، وإلا فالرحيل هو السبيل! قلت: صدقت يا صديقي الصدوق، فلا بد من الاستمساك بالطرف الأصيل ما دمت أبحث عن رضا الرحمن .

ولسوف أفتش في ثنايا دروب الأيام والليالي، فلعلي ألقى طرفا أفضل مما سأدع، وإني لأرجو أن يتواصل مع الطرف الأصيل فيصبحا طرفا واحدا قويا .

(٢)

أمي المسكينة في زاوية معهودة من غرفتها تتكئ على أريكتها القديمة .. تدعو الله لي بالسعادة وراحة البال وحب الخلائق ونيل كل مراد ..

تقوم لتصلي نافلة الضحى، لكنها لا تستطيع الارتكاز على قدميها، فتوثر الصلاة جلوسا .. تسبح في صمت عميق يتخلله تسبيح الله وذكره وحمده وتعظيمه .

وأنا في غرفتي أطالع فهرس كتاب قديم ... أصيخ السمع .. إنها أمي تناديني!:

أي بني! لِمَ تجلس وحدك عندك؟ أجيبها نهوضا على أطراف أصابع قدمي وأنا أبسم لها : لبيك أماه! هل تريدين شيئا؟

قالت : أريدك بخير يا ولدي!

قلت : أنا بخير طالما أنت بخير.

قالت : يا بني لا تجعلني همك المضني، وشغلك الشاغل، اذهب واستأجر شقة لعروسك وحقق مطلبها!

قلت : وأنت يا أماه!؟ كيف تعيشين وحدك؟

قالت : أنا امرأة عجوز لا تبتغي من هذه الفانية إلا السعادة لوليدها الحبيب .

أجبتها ودمعة كبيرة تتحدر فوق خدي : سعادتي في رضائك عني يا غالية!

قالت : راضية - والله يا بني - راضية!!، بل كل عرق في جسدي راض عنك .

انحنيت في لهفة أقبل يديها وقدميها، وقلت في رعشة تنتابني، ودموع غزيرة تبرد أنفاسي المتلاحقة :

أماه لن أتخلى أبدا عنك! فأنت الطرف الأصيل. ■